إنـه الله – اليوم وإلى الأبد

تماماً كما ظل ربنا يسوع المسيح بطبيعته الإلهية حين كان إنسانا ، هكذا ظل هو الله ذاته حين رجع إلى السماء ، برغم رجوعه بطبيعته البشرية التي لم يتخذها إلا عندما أتى إلى العالم . هو الله الآن ، وسيظل كذلك إلى الأبد ، وهذا هو موضوع الفصل الحالي من هذا الكتاب .

نجد هذه العقيدة في كل كتاب من كتب العهد الجديد ؛ وتكرر مراراً ، إما بالتأكيد المباشر ، أو المفهوم ضمناً . ويمكن لأي قارئ مُنصف أن يرى ذلك بنفسه . ومقدار هذه الأدلة والبراهين هائل ، وهي منسوجة باتقان شديد في نسيج العهد الجديد ، حتى إننا لا نحتاج شيئاً سوى تقديم أمثلة عامة لهذه الأدلة إنه الله السرمدي ، لقد كان الله حين جاء بيننا ، وهو الله اليوم وإلى الأبد . وفي الحقيقة كيف يتسنى لمن كان الله دائما أن يُكف عن أن يكون كذلك؟ إن الفكرة ذاتها غير معقولة ، بل محالة . فالذي هو الله سوف يظل هكذا إلى الأبد. ولكن العهد الجديد اهتم بأن يقدم لنا حقيقة لا يمكن أن تُغفل ، ولم يتركنا نصل إلى النتيجة الواضحة بعد تفكير وتأمل عميق ، بل هو يقرر الحقيقة بجلاء تام .

فقرتان أساسيتان (مفتاحيتان) (Two Key Paragraphs) .

بخصوص هذا الموضوع ، وكنقطة للبداية ، دعنا نرجع لإحدى فقرات العهد الجديد ، والتي استشهدنا بها مرات عديدة من قبل : -

عبرانيين 1 : 1 - 3 : لماذا لا تفتح كتابك المقدس مرة أخرى على هذه الكلمات الرائعة ، كي تتأمل فيها من جديد ؟

بعد أن أخبرنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن كلمات الله للعالم بلغت ذروتها وختامها في ابنه ، ينتقل للحديث عن سبع حقائق رائعة عنه . فالمسيح هو الوريث والمصالح للعالم . وبه صنع الله العالمين .

هو أيضا بهاء مجده - الذي يشرق بمجد الله ، ليس انعكاساً له ، ولكنه إشراق ذاتي . إنه رسم جوهر الله وهو يُظهر الله تماما ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته . إنه هو الذي صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا ، ويجلس الآن عن يمين العظمة الإلهية في الأعالي .

يخبرنا الرسول في هذه الأعداد عن شخص المسيح وكيانه وماذا عمل . والآن ، هو يجلس على عرش الله كإنسان ولا يزال هو بهاء مجد الله ورسم جوهره . وتواضعه الذي ظهر ، سواء في تجسده أو في عمله الكفاري ، لم يُعق صعوده المجيد إلى السماء التي جاء منها .

ولم يحدث أي تغيير في طبيعته ، فقد ظل السيد المسيح كما كان عندما عمل العالمين . وإذا تأملنا في الألقاب التي أطلقت عليه ، فاننا نرى جيداً أنه لا يمكن استخدامها إلا لله وحده . فالرب يسوع الذي هو إنسان الآن وإلى الأبد، لا يزال هو الله .

والفقرة الأساسية الأخرى نجدها في (افسس 4 : 7 - 8).

يتعرض بولس هنا لنقطة هامة ، وهي أن المسيح الذي صعد إلى السماء، أعطى مواهب مختلفة ومتعددة لكل مؤمن في الكنيسة . ولكي يدعم هذا التأكيد، اقتبس ما قيل في (مزمور 68 : 18). ولم يكن لبولس أن يفعل ذلك إلا بسبب يقينه أن كلمات هذا العدد من المزمور ؛ إنما هي عن الرب يسوع المسيح .

وبدراسة دقيقة متأنية لمزمور 68 : 18 ، يتضح أنه احتفال بوصول تابوت الرب إلى أورشليم . ولأورشليم مكانة فريدة على الأرض ، ليس لأن جبل صهيون الذي فيها أعلى من كل الجبال ، ولكن لسموها الروحي إذ أنها أُختيرت مكاناً لسكن الله . ويوضح هذا العدد من المزمور أنه بعد هزيمة حصن الأعداء ، صعد يهوه نفسه إلى جبل صهيون ليشارك شعبه في الغنيمة .

ويرى بولس أن هذه الكلمات لها تطبيق أسمى في صعود المسيح . لقد صعد إلى السماء ليجلس على كرسيه ويسود على الجميع ، من هناك يوزع الهبات على كنيسته . ولا يرضى بولس بأقل من لغة التمجيد هذه حين يذكر الرب يسوع المسيح وهو في السماء ،

ولم يدر بخُلده ولو للحظات أن المسيح - وهو كانسان في السماء - في مرتبة أقل من الله . فالمزمور الذي يتحدث كله عن شخص الله فقط، ينسبه بولس إلى المسيح . فالتفكير في لاهوت المسيح الذي صعد إلى السماء يعتبره بولس أمراً طبيعياً جداً كالتنفس .

ويوجد في العهد الجديد العديد من الفقرات المماثلة للفقرتين السابق ذكرهما . فالمسيح هو الله الآن وإلى الأبد . ولكن لمزيد من التوضيح لهذا الحق ، دعنا نتَّبع أربعة خطوط للتفكير في هذا الموضوع حسب ما فعل الكتاب لقرون عديدة . ان هذه الخطوة مماثلة تماماً لطريقة توضيح أن المسيح هو الله منذ الأزل ؛ وهي ليست أقل اقناعا بسبب ذلك . فليس فقط بالاستشهاد بلاهوته الأزلي ، أو بالاستشهاد بسني حياته عندما كان على الأرض ، ولكن اليوم - وفي الوقت الحالي - يقول الوحي في العهد الجديد عن المسيح أنه الله، وينسب إليه صفات الله ، ويبين أنه يعمل أعمال الله ، أيضا يعلّمنا أنه يستحق العبادة والإكرام الذي يستحقه الله وحده . مرة أخرى دعنا نتبع هذه الخطوط الأربعة تباعاً .

الأسماء والألقاب :

استشهدنا في الفصل السابق بما جاء في (عبرانيين 1 : 1 - 3) والذي ينتهي بالإشارة إلى صعود المسيح ومكانه حالياً .

وإذا واصلنا القراءة في هذا الاصحاح ، سنكتشف أن كاتبه ينتقل مباشرة إلى النقطة التي فيها كلمات تنسب (مزمور 45 : 6 ، 7) إلى المسيح . " كرسيك يا الله إلى دهر الدهور " (عبرانيين 1 : 8) . فالمسيح يسوع الآن في أسمى مكانة، حيث يُدعى الله .

إنه المسيح الأزلي ، الذي صعد والذي يدعوه بولس " إلها مباركاً إلى الأبد " (رومية 9 : 5) ، " ملك الدهور الذي لا يفنى ولا يُرى . الإله الحكيم وحده" (1تيموثاوس 1 : 17) ، " .. الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح " (تيطس 2 : 13) ، " فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً " (كولوسي 2 : 9) .

وبالنسبة لبطرس ، فهو يكتب عنه بعد صعوده " إلهنا والمخلص " (2بطرس 1 : 1) . وبالنسبة ليهوذا هو "الاله الحكيم الوحيد مخلصنا " (يهوذا 5) وبالنسبة ليوحنا " الإله الحق والحياة الأبدية " (1يوحنا 5 : 20) .

لابد أن نلاحظ أنه ليس فقط هؤلاء الذين كتبوا هذه الإعلانات العجيبة المذهلة عن الرب الذي صعد ، لكن الرب يسوع أعلنها بنفسه . فبعد صعوده ، أعلن ذاته ليوحنا وهو منفي في جزيرة بطمس في هذه الكلمات " أنا هو الألف والياء ، البداية والنهاية .. يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي ، القادر على كل شيء " (رؤيا 1 : 8) .

بالإضافة إلى هذه الإقرارات الواضحة ، يستمر استعمال اللقب الإلهي " الرب " مشيراً ليسوع المسيح بعد صعوده . فميلاد الكنيسة المسيحية في ملء العهد الجديد تم بالتأكيد الكامل على ربوبية المسيح . " لأن داود لم يصعد إلى السموات. وهو نفسه يقول : قال الرب لربي : اجلس عن يميني . حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك . فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا، الذي صلبتموه أنتم ، رباً ومسيحاً " (أعمال 2 : 34 - 36).

والإيمان بربوبية المسيح ؛ أمرٌ أساسي وجوهري جداً في مفهوم العهد الجديد عن هويته ، حتى أنه يعلّم بوضوح أنه لا يمكن لأحد أن يصبح مسيحياً حقيقياً إلا إذا اعترف بهذه الحقيقة (1كورنثوس 12 : 3) . برهنَّا في صفحات سابقة في الفصل الأول أن " الرب " هو لقب إلهي ، وقد تأكد مجدداً هذا البرهان بكلمات بولس في (1كورنثوس 8 : 4 - 6) . " نعلم أن ليس وثن في العالم ، وأن ليس إله آخر إلاّ واحداً . لأنه وإن وُجد ما يسمَّى آلهة ، سواء كان في السماء أو على الأرض ، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون . لكن لنا إله واحد ؛ الآب الذي منه جميع الأشياء ، ونحن له . ورب واحد يسوع المسيح ، الذي به جميع الأشياء، ونحن به " .

وليس من السهل دائماً إدراك قصد بولس هنا . فهو يقول أنه مع أن المؤمنين يعرفون أنه يوجد إله ورب واحد ، فإن الوثنيين يظنون أن آلهتهم المتعددة حقيقية ، ولابد من مقاومة هذا الخطأ . فليس هناك آلهة كثيرة وأرباب كثيرون (ب . ب . وارفيلد) ، إنما إله واحد

الآب ورب واحد يسوع المسيح. ولا تسمح لنا لغة بولس أن نعتبر أنه يقصد انهما إلهان منفصلان ، فليس هناك إلاّ إله واحد ، فاللاهوت يختص بالرب يسوع المسيح كما بالآب تماماً .

ويأتي نفس هذا المعنى واضحاً في (رومية 10 : 11 - 15) ، حيث يوضح بولس أن نوال الخلاص ، سواء لليهودي أو للأممي ، لا يتم إلا بالإيمان بالمسيح . وفي هذا السياق يكتب " لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص " (عدد 13) .

وواضح تماماً أنه يقصد يسوع المسيح بكلمة " الرب " . وبنفس الوضوح فان هذا العدد مقتبس مما جاء في سفر يوئيل 2 : 32 ، حيث ترجمت كلمة " الرب " الموجودة في كتبنا المقدسة من الكلمة العبرية " يهوه " . ويبدو بولس شديد الصلابة في أن من يدعو " يهوه " تماما كالذي يدعو المسيح لانهما واحد، ولا يوجد في ذهنه شك في ذلك . فلقب " الرب " لقب إلهي مقدس وينسب بدقة إلى المسيح . ومن الصعب أن نرى أحداً يخامره أدنى شك في هذا . ولكن لو ظهرت ثمة شكوك مثل هذه فلابد انها تُقشع وتُزال أمام (عدد 15) ، حيث يعرِّف بولس التبشير بانجيل المسيح مع الرسالة الواردة في اشعياء 52 : 7 " قد ملك إلهك ! "

وبنفس الطريقة استُخدم لقب " ابن الله " ونُسب إلى المسيح بعد صعوده . وكما رأينا فإقرار لاهوت المسيح كان الرسالة الأولى التي بشَّر بها الرسول بعد تجديده (أعمال 9 : 20) ، وكانت أحَّب الأساليب إليه للحديث عن مخلصه فيما بعد (على سبيل المثال ، انظر غلاطية 2 : 20) . واستخدم هذا اللقب بواسطة كاتب رسالة العبرانيين ، حيث يشجِّع قرَّاءه أن يستفيدوا من شفاعة المسيح الحاضرة كرئيس كهنتنا الأعظم (عبرانيين 4 : 14 - 16) .

كما استخدمه يوحنا مراراً وتكراراً حين تكلم عن الاختبار الحاضر للمؤمن في المسيح (1يوحنا 5 : 1 - 13) . فمهما كانت الشكوك حول شخص الرب يسوع المسيح هذه الأيام ، فشهادة العهد الجديد عنه لا لبس فيها ولا غموض. فقد كان هو الله أثناء وجوده في وسطنا ، كما أنه هو الله الآن !

الصفات :

يعلّمنا العهد الجديد أن يسوع دعى الله بعد صعوده ، كما أن كل صفات الله وخصائصه إنما هي منسوبة إليه دائماً وأبداً .

* **فبالنسبة لحدود المكان :** - نعلم أن الله موجود في كل مكان (1ملوك 8 : 27 ومزمور 139 : 7 - 10) ، ولكن في تجوالنا في العالم كله لنشر الإنجيل، فإننا نتشجع بسماع كلمات المسيح " ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر " (متى 28 : 20) . ويبدو حضوره في كل مكان واضحاً في وعده المتجدّد ؛ أنه يوجد حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه (متى 18 : 20) . وأيا من كان محباً للمسيح وحافظاً لكلامه ، سوف يختبر حضور المسيح معه (يوحنا 14 : 23) . وكل مؤمن ، أينما وجد في أي بقعة من العالم ، يعلم يقيناً أن المسيح في قلبه (افسس 3: 17) . وسوف نرى آجلاً أنه مع أن المسيح ليس حاضراً بطبيعته الجسدية في كل مكان ، إلا أن ذلك لا ينفي مطلقاً من الاتصاف بأنه كلّي الوجود ، أي موجود في كل مكان .

* **وبالنسبة لحدود الزمن :** - فالله أزلي(اشعياء 40 : 28، حبقوق 1 : 12). نقرأ في (اشعياء 44 : 6) حيث يؤكد يهوه عن نفسه بقوله " أنا الأول والآخر"، إلا أن المسيح أيضا يقول عن نفسه في سفر الرؤيا " أنا الألف والياء، البداية والنهاية ، الأول والآخر " (رؤيا 22 : 13 ، انظر أيضا 1 : 11) . فيهوه أزلي وكذلك يسوع أيضا . وواضح أن يسوع هو يهوه ، إنه الله.

ونقرأ في سفر الرؤيا 11 : 17 أن أولئك المحيطين بعرش الله وقفوا يقولون " نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شيء ، الكائن والذي كان والذي يأتي " . ولكن بمقارنة هذه الكلمات بما جاء في نفس السفر والاصحاح 1 : 8 على لسان الرب يسوع المسيح وهو يتكلم عن نفسه ، نلاحظ تطابق الكلمات تقريباً. إذاً فالمسيح المقام هو الله !

**** الله لا يعتريه تغيير أو ظل دوران :***

فلم ولن يعتريه أي تغيير ، إنه دائماً هو هو (ملاخي 3 : 6 ، يعقوب 1: 17) . وكما تنطبق هذه الحقيقة على الله فهي أيضا تنطبق على المسيح يسوع، إذ أن " يسوع المسيح هو

هو أمساً واليوم وإلى الأبد " (عبرانيين 13 : 8) . وكما كان قبل خلق العالمين ، لا يزال هو الآن ، وسوف يظل كذلك أيضا بعد زوال هذا العالم ، إذ يقول كاتب العبرانيين " وأنت يا رب في البدء أسست الأرض ، والسموات هي عمل يديك . هي تبيد ولكن أنت تبقى ، وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها فتتغير . ولكن أنت أنت ، وسنوك لن تفنى " (عبرانيين 1 : 10 - 12) .

**** أما بالنسبة لحدود المعرفة :***

فالله يعلم بكل شيء (مزمور 139 : 2 - 5، 1يوحنا 3 : 20) . ولكن لا يوجد ما هو خافٍ عن المسيح أيضا ، فقد طرقت هذه الحقيقة سبع مرات حين أرسل رسائل إلى كنائسه السبع – بعد صعوده – فبعد الإشارة إلى ألقابه الإلهية ، تعلن كل رسالة هذه الحقيقة الجليلة " أنا عارف أعمالك " (رؤيا 2 : 2 ، 9، 13 ، 19 ، 3 : 1 ، 8 ، 15) . من سوى الله نفسه يستطيع أن ينطق بهذه الكلمات ؟

**** وبالنسبة لحدود القوة :***

فإن الله يصنع ما يشاء (مزمور 135 : 6 ، دانيال 4 : 35) ، وهكذا يسوع المسيح أيضا . إنه " القادر على كل شيء " (رؤيا 1 : 8) إنه " حامل كل الأشياء بكلمة قدرته " (عبرانيين 1 : 3) ، " فيه يقوم الكل " (كولوسي 1 : 17) . فلا عجب أنه يدعى " ملك الملوك ورب الأرباب ! " (رؤيا 19 : 16، 1تيموثاوس 6 : 13 - 16) . وبسبب قوته التي لا تحد ، تيقَّن بولس أنه سيصل في النهاية إلى السماء (2تيموثاوس 4 : 18) . نعم ! فيسوع المسيح قادر أن " يخضع لنفسه كل شيء " (فيلبي 3 : 21) . ويقسم يهوه في سفر اشعياء 45 : 23 فيقول " إنه لي تجثو كل ركبة ، يحلف كل لسان " . وبالمثل يتعهد العهد الجديد أنه سوف " تجثو باسم يسوع كل ركبة ..... ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب ..." (فيلبي 2 : 10 - 11) .

هل الله قدوس ؟ نعم وبطرس يعلم ذلك يقيناً ، وبكل سرور ينسب مزمور 16 إلى المسيح ويدعوه " قدوس " (أع 2 : 27) .

هل يمكننا أن نقول مع دانيال عن الله " ليكن اسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد ، لأن له الحكمة والجبروت " (دانيال 2 : 20) ، لكن يمكننا أيضا أن نقول عن يسوع " الإله الحكيم الوحيد مخلّصنا (يهوذا 25) ، " الإله الحكيم وحده " (1تيموثاوس 1 : 17) ، " المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم " (كولوسي 2 : 3) . وهكذا نرى مراراً وتكراراً أن ما هو حق عن الله وحده ، هو حق عن يسوع الآن ! وما قيل عن يهوه وحده ، قيل أيضا عن يسوع .

وهكذا يرسخ في نفوسنا - مرة بعد الأخرى أن يسوع هو يهوه ! يسوع هو الله !

الأعمال الإلهية :

خلال حياته على الأرض - أعلن يسوع أن كل شيء قد دُفع إليه من أبيه (لوقا 10 : 22 ، يوحنا 3 : 35) . ولا يمكن أنه كان يعني أن هذا الكلام ينطبق على سني حياته القصيرة على الأرض فقط ، إذ أن العهد الجديد يؤكد هذه الحقيقة عنه الآن . الواقع أن كلمات المسيح الوداعية ؛ تذكّرنا إنه لا يوجد مكان خارج عن سلطانه (متى 28 : 18) ، فكل شيء قد أُخضع تحت قدميه (افسس 1: 22) ، ولا يمكن أن يحدث شيئاً بغير إرادة المسيح (افسس 1 : 11) . كل هذه الأمور هي أعمال وامتيازات إلهية ، ومع ذلك فهي تتم بواسطة المسيح !

فمن يستطيع أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ؟ لقد كتب بولس إلى أهل كولوسي " كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضا " (كولوسي 3 : 13) ، ولم يصبح الكولوسيون مسيحيين إلا بعد زمن طويل من صعود المسيح إلى السماء. لم يروه أو يتقابلوا معه في الجسد ، ولكن ما يمكن لله وحده ان يعمله لهم ، عمله لهم المسيح الذي صعد !

ومن غير الله يستطيع أن يعطي الحياة الأبدية ؟ ولكن المسيح قالها صراحة أن كل من أُعطى الحياة الأبدية ، إنما وهبت له عن طريق الرب يسوع (يوحنا 10 : 28) . وبقوته يجعل الرجال والنساء أحياء روحياً (يوحنا 5 : 21 ، 25 - 27) .

فلا يمكن لأي منا أن ينال اختباراً روحياً حقيقياً في حياته إلا بيسوع المسيح . إنه هو الذي يرسل الروح القدس (يوحنا 16 : 7 ، أعمال 2 : 32 - 33) ، وبواسطته وحده يتقدس أعضاء الكنيسة المسيحية (افسس 5 : 25 - 26). ولكن الرب لا يقيم الناس فقط لقيامة روحية . لقد كان الأمر متعلقاً بقيامة الجسد حين قال " أنا هو القيامة والحياة . من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد " (يوحنا 11 : 25 - 26) . ولكن هل نؤمن أن أحداً غير الله يمكن أن يقيم الموتى ؟ لم يتردد بولس في أن يكتب " فان سيرتنا نحن في السماويات ، التي منها أيضا ننتظر مخلِّصناً هو الرب يسوع المسيح . الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده ، بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء " . (فيلبي 3 : 20 - 21) .

ولئلا يُظن أن قدرته على إقامة الموتى مقصورة على أجساد المؤمنين ، دعونا نتذكر ما قاله هو نفسه " تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة " (يوحنا 5 : 28 - 29) .

وفيما بعد القيامة ، فإن المسيح هو الذي سيدين العالم . فقد كتب سليمان " لأن الله يُحضر كل عمل إلى الدينونة ، على كل خفي ، إن كان خيراً أو شراً" (جامعة 12 : 14) . ولكن العهد الجديد يؤكد على أنه " لابد أننا جميعاً نُظهر أمام كرسي المسيح ، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيراً كان أم شراً " (2كورنثوس 5 : 10) ، ويؤكد أن " الذي يحكم فيَّ هو الرب " (1كورنثوس 4 : 4) ، والدراسة الدقيقة لهذا العدد السابق تثبت إثباتا حاسما - أن " الرب " المقصود هنا هو الرب يسوع المسيح .

إنه سيأتي ثانية في مجد ، وسيقف أمامه رجال ونساء من كل الأمم . وكقاض ملكي سيميزهم عن بعضهم البعض ، كما يميّز الراعي الخراف عن الجداء (متى 25 : 31 - 46) . لن يتخلف أحد ، فلابد أن نقف كلنا أمامه . ولئلا ننسى من هو - بالتحديد - المسيح الذي سوف نظهر أمامه ، يضع الرسول هذا الحق في (رومية 14 : 12) " فإذاً كل واحد منا سيعطي عن نفسه حساباً لله " .

صحيح أن " المعيَّن من الله ديَّاناً للأحياء والأموات " هو إنسان (أعمال 10 : 42، 17 : 31) ، وصحيح أيضا أن هذا الإنسان هو الرب يسوع المسيح (2تيموثاوس 4 : 1) . ولكن غير الصحيح أن الديَّان الآتي للقضاء هو إنسان فقط. إنه ابن الله الوحيد ، الذي له السلطان أن يخلِّص ، وله السلطان أن يدين أيضا (يوحنا 5 : 22 ، 28 - 29) . وحتى العصاة سوف يدعونه " يا رب " في ذلك اليوم (متى 7 : 21 - 23) . لن يخفي مجده في ذلك اليوم الرهيب (2تسالونيكي 1 : 7 - 10) . وسوف يعمل ما يعمله الله فقط . سيدين العالم بالعدل ، وعندئذ لن يبقى كائن على وجه الأرض مستمراً في شكّه في لاهوته .

بعدئذ ، سيأتي الانحلال النهائي للكون كما نعرف كلنا ، وتجديد كل شيء. سيطويها المسيح كرداء ويغيرها كثوب . ولكنه سيبقى هو هو ولا يتغير (عبرانيين 1 : 12) . ونظل نتفرَّس في السموات الجديدة والأرض الجديدة ، ونسمع صوته من فوق عرش الله " ها أنا أصنع كل شيء جديداً ! " (رؤيا 21 : 5) .

**** العبادة التي لله :***

مادام يسوع هو الله فليس من الخطأ عبادته . ويعلّمنا الكتاب المقدس أن السجود للمسيح ليس أمراً جائزاً فقط (كما فعل توما ، مثلا ، بعد قيامته) ، بل هو واجب علينا أن نسجد له ونعبده .

فهذا السجود يُقدّم له في السماء على الدوام . وقيل عن الرب يسوع " لتسجد له كل ملائكة الله " (عبرانيين 1 : 6) ، وهم يفعلون ذلك ، فربوات الملائكة تحيط بعرشه صارخين " مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة ، والقوة والكرامة والمجد والبركة ! " (رؤيا 5 : 12) . ويشترك شعبه في الأرض مع هذه الكائنات المجيدة ، قائلين " الذي أحبَّنا وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه ، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين . آمين " (رؤيا 1 : 5 ، 6) .

وبسبب عبادة المؤمنين وسجودهم للمسيح ، فقد عُرفوا بأنهم " الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح " (1كورنثوس 1 : 2) . وهم يفعلون ذلك لأن الله يريد أن " يكرم الجميع

الابن كما يكرمون الآب " (يوحنا 5 : 23) ، ولا يمكن أن ينسوا أن " كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضا ، ومن يعترف بالابن فله الآب أيضا " (1يوحنا 2 : 23) .

من أجل هذا ، فان استفانوس في اللحظات التي سبقت موته رفع صلاته إلى المسيح الذي في السماء (أع 7 : 59 ، 60). ولأجل ذلك أيضا رفع الرسول بولس صلاته إلى المسيح بغير تحفظ ، وحث الجميع أن يحذوا حذوه (مثلا في رومية 10 : 12 – 14 ، 2كورنثوس 12 : 8) ، ويقدم ذلك على انه جوهر الإيمان (غلاطية 2 : 16 ، افسس 1 : 15 ، فيلبي 3 : 8) .

ولأجل ذلك أيضا ، وطالما بقى العالم ، فالمتجددون لابد أن يعتمدوا باسم الابن ، علاوة على اسم الآب والروح القدس (متى 28 : 19) .

ولأجل ذلك أيضا ، وعندما يمنح الرسول بولس البركة لقرائه ، يستحضر نعمة ربنا يسوع المسيح ، بالإضافة إلى محبة الله وشركة الروح القدس (2كورنثوس 13 : 14) . فالرب يسوع المسيح هو الله بنفس قدر الأقنومين الآخرين .

ولكن يوجد - في الوقت الحالي - الكثير من الرجال والنساء الذين يرفضون السجود للمسيح ، علاوة على عدد لا نهائي من الشياطين ، الذين يقفون في تمرد علني ضده . والمسيح له " اسم فوق كل اسم " (فيلبي 2 : 9)، لكنهم لا يعترفون بذلك . إلا أنه سوف يأتي اليوم الذي سيعترف فيه كل لسان بسلطان المسيح . وهذا لا يعني أن كل الكائنات سوف تخلص ، فهذا ما لا يعلمه الحق الكتابي - ومع ذلك - أرادوا أو لم يريدوا - ستشترك كل الخليقة في إعطاء الكرامة والمجد للمسيح ، وسوف يدعونه باسمه الإلهي . فهناك حكم إلهي أكيد بأنه سوف " يعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب " (فيلبي 2 : 11) . فسوف تتفق كل الخلائق التي وجدت على سطح الأرض على الحق الخاص بلاهوت المسيح .

**** صعوبة شائعة :***

إن تعليم بولس في رسالته إلى أهل فيلبي لهو مقنع بما فيه الكفاية . لكن هناك فقرة أخرى لبولس تحيِّر الكثيرين . هذه الفقرة هي عما سوف يكون في نهاية العالم . والصعوبة في هذه الفقرة تكمن في أن المعنى الظاهري لكلماتها يبدو وكأنها تضع المسيح في منزلة أقل من الآب ، أي أقل من الله . نحن نقصد بالطبع ما جاء في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 15 : 22 - 28، حيث يقول الرسول بولس : - " لأنه كما في آدم يموت الجميع ، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع . ولكن كل واحد في رتبته : المسيح باكورة ، ثم الذين للمسيح في مجيئه ، وبعد ذلك النهاية ، متى سلَّم الملك لله الآب ، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة . لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الاعداء تحت قدميه . آخر عدو يُبطل هو الموت . لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه . ولكن حينما يقول " إن كل شيء قد أُخضع " فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل . ومتى أُخضع له الكل ، فحينئذ الابن نفسه أيضا سيَخضع للذي أخضع له الكل ، كي يكون الله الكل في الكل "

وقبل أن نتسرع هنا في استنتاجنا ، لابد من ملاحظة أن بولس نفسه لا يعتبر بأي حال أن تعليمه هنا يثير الشك في لاهوت المسيح . فنجده بعد هذه الكلمات مباشرة ، يسارع ويدعو المسيح " ربنا " في عدد 31 ، ويكرّر ذلك أربع مرات متتالية قبل انتهاء هذا الاصحاح (اعداد 47 ، 57 ، 58) . وهو يقرِّر بوضوح هنا أن الرب الذي يكتب عنه ليس كآدم من الأرض ترابي ، لكنه " الرب من السماء " (عدد 47) ، أو بمعنى آخر ، الله أصبح إنسانا ! .

فماذا نفعل في الجزء الذي ذكرناه لتوِّنا ؟ لابد لنا أن نتذكر أن بولس يوضِّح أن عمل الخلاص بجملته يبدأ وينتهي بالله الآب بلا أي لبس في الأمر. فمع أن الرب يسوع المسيح هو ابن الله (عدد 28) ، إلا أنه لم يفعل شيئا من ذاته. فالله الآب هو مدبِّر الخلاص ، وقد تُمم الخلاص بواسطة الله الابن . ولكي يعمل هذا أصبح إنسانا ، ومات وقام ثم صعد إلى السماء . وفي مجيئه الثاني سيُخضع كل الأعداء المتمردين على الله ، وحينئذ يكون قد أكمل كل ما كُلِّف به . وبعد إتمام الخلاص وهزيمة الشيطان ، سوف لا يتبقى له شيء ليفعله . عند هذه المرحلة سوف " يقدم تقريراً " للآب الذي أرسله ، وسوف يسلِّمه كل انتصاراته ،

وبذلك سيظهر أن الله هو الذي غلب وليس الشيطان ، هذا الأخير سوف يُسحق ، ولن يبقى شيء غير مُخضَع تماماً لله ، فسيكون الله الكل في الكل .

ولكن كل ما فعله الله إنما صنعه بواسطة المسيح . ولم يفعل المسيح شيئا لذاته ، لكن للآب الذي كلفه بذلك . ولن يعطي الابن انطباعاً بأنه هو الذي انتصر وليس الآب . لذلك بعدما أخضع الابن كل شيء للآب ، سوف يخضع هو نفسه له ويكرمه . وسيكون واضحاً أن عمل الابن لم يكن معزولا ، فلم يصنع شيئاً دون الاتصال بالآب . فكل ما صنع ، تم في تناسق تام بين أقانيم الثالوث الثلاثة .

فإذا استنتجنا من كل ذلك أن الله الابن في منزلة أقل من الله الآب على نحو ما ، نكون قد أخطأنا خطأ جسيماً فقد عرفنا سابقا في هذا الكتاب ان الولادة الأزلية للابن لا تعني انتقاصاً منه . فحقيقة وجود نظام في اللاهوت لا يعني بالضرورة وجود رُتب . فالأولوية لا تعني الأفضلية في شيء . وقد تطرقت إلى هذه النقطة بشيء من التفصيل في كتابي الثلاثة واحد " The three are one " ، وبما أن الكتاب الذي نحن بصدده ليس مخصصاً لدراسة عقيدة الثالوث ، فوجدت أن اكتفي بالاشارة فقط إليها هنا . لكن لابد من التنبير على أن العلاقة الأزلية بين الآب والابن لا تعني بأية حال من الاحوال وجود أحدهم كالأكبر والآخر كالأصغر.

وبالتأكيد فان الترتيب الذي يظهر في اللاهوت يعكس الطريقة التي يعمل بها الله . فكل ما يعمله الآب ، إنما يعمله دائماً بواسطة المسيح . والمسيح كوسيط لا يصنع شيئا من ذاته ، مع أنه هو الله بذاته ! لا يمكن لعقولنا البشرية المحدودة أن تدرك كل هذا ، ولكن مع ذلك ، يبقى أن هذا هو ما يعلمه الكتاب المقدس . على أية حال لابد لنا أن نذكر أن كل ما صنعه المسيح ، إنما صنعه كانسان . لقد أصبح إنسانا في أحشاء العذراء مريم ، ولا يزال إنسانا حتى يومنا هذا وإلى الأبد.

وسوف نتتبع هذا الموضوع في القسم الثاني من هذا الكتاب ، لكن لابد أن نتذكر هذه الحقائق ونحن نتأمل في الفقرة التي ذكرناها من قبل ، فالوسيط الذي يقدم تقريراً للآب هو إنسان ، مع أنه الله الآب .

هل يمكن لإنسان أن يقف في محضر الله غير خاضع له ، حتى لو كان هذا الإنسان هو " الله الإنسان " ؟ إذا أمعنَّا التفكير في كل ما قيل ، فستقل صعوبة الفقرة المذكورة إلى حد كبير . ولن نعتبرها أنها تقف حجر عثرة في وجه إيماننا بلاهوت مخلِّصنا . فكيف يؤكد بولس وقوع كل الأعداء في النهاية تحت قدمّي المسيح ، إن لم يكن المسيح هو الله نفسه ؟

**** حتمية لاهوته :***

يتضح في ختام الفصل الأول من هذا الكتاب ، أن الكتاب المقدس يؤكد على لاهوت المسيح . ونحن بكل سرور نكرّر هذا الحق : أنه الله الأزلي ، لقد كان الله حين كان بيننا ، وهو الله الآن وإلى الأبد . وكم يجب علينا أن نكون شاكرين لوضوح هذا التعليم في كلمة الله ، إذ أن خلاصنا يتوقف عليه تماماً .

فلو كان المسيح أقل من الله ، لكان حتى هذه اللحظة في قبره . فلا يمكن لإنسان عادي ، مهما بلغت درجة كماله ، ومهما أسبغ عليه من الروح القدس، أن يعلن ما جاء في يوحنا 10 : 17 " لهذا يحبني الآب ، لأني أضع نفسي لآخذها أيضا " فيمكن لإنسان عادي أن يقول أنه يضع حياته ، أما أن يأخذها ثانية فهذا ما لا يستطيعه .

ولكي يموت إنسان ثم ينتصر على الموت بالقيامة ، لابد أن يكون هو الله نفسه . فلو لم يكن ربنا يسوع المسيح هو الله ، لما كان لنا مخلِّص حيٌ اليوم . ولكُنَّا في تيه بلا طريق ، وبقينا في خطايانا نسرع الخُطى كمذنبين نحو الدينونة الأبدية .

لكن دعنا نفكر في حياته وموته الذي سبق قيامته . فَمَنْ غير الله نفسه يستطيع أن يطيع ناموس الله تماماً وبذلك يمكنه أن يموت كذبيحة غير محدودة القيمة نيابة عن أعداد لا حصر لها من البشر ؟ لأنه الله ، كان باستطاعته أن يقدم ما هو أعظم في القيمة مما تقتضيه خطايا العالم أجمع . ولو لم يكن هو الله ، بقدرته غير المحدودة في احتمال الألم ، كيف تسنَّى له أن يحتمل الغضب الإلهي اللانهائي في الجلجثة في ساعات قليلة ؟ من سوى الله الأزلي يمكنه أن يدفع ثمن القصاص الذي يطالب به الله غير المحدود ؟

لقد جاء الله بنفسه كي يفتدينا . يا لها من محبة ! لكنه جاء كإنسان . وتجسُّد المخلِّص أساسي جداً لخلاصنا ، تماماً كلاهوته، وسوف نتحَّول لهذه الحقيقة في الجزء القادم .